مجلة المعجمية - تونس

ع 5-6

1990

تاريخ الكلمة العربية
وتطورها في الدرس اللغوي عند العرب
مع دراسة وصفية تطبيقية من خلال
لسان العرب لابن منظور

للدكتور هادي نهر
استاذ اللغويات في كلية الآداب
الجامعة المستنصرية
بغداد ـ العراق

هذا موضـوع من اكثـر المـوضوعات طرافة وصعوبة، واشدها تعقيدا، دعاني الى الكتابة فيه ـ على الرغم من وعورة مسالكه ـ أمر أراني دائم التفكير فيه لانه موجب لاقرار الحقائق العلمية التي تزيل كثيرا من الاوهام التي يرددها بعض الباحثين المنبهرين بالدرس اللغوي الحديث دون تبصر بابعاد التراث، ومحتواه العلمي المرموق.

لقد افترى كثيرون على تراثنا، فيحسن بكل من تهمه الحقيقة العلمية الا يكتفي بما يقـال، وانـما يجب الاحـاطـة بوجهـات النظر المخاصمة والمصادقة من اجل تثبيت الحقائق، ودفع ما يقال كي يحتل البحث اللغـوي العربي المكانة التي يجب أن يحتلها في مسار الدرس اللساني عبر التاريخ، تلك المكانة التي اعترف بها كثير من النيرين من

علماء الشرق والغرب.

إنّ المظنون في أغلب الدّراسات اللّغوية قصور الدّرس اللّغوي العربي في مجال البحوث الوصفية التطورية. ولهذا صفرَ التراث العربي من درس في (تاريخ الكلمات واصولها) او ما اصطلح عليه الاعاجم بـ(الايتيمولوجيا).وليس هذا بحق، فللعرب ما لغيرهم في هذا المجال من دراسة للكلمة على توالي الازمنة، وعلى تفاوت البنيات والدلالات والسياقات اللغوية، فتاريخ الكلمة عند العرب ما هو الا تاريخ لوجودهم وحيواتهم.

ولكي اثبت هذه الحقيقة اعتمدت منهجا وصفيا تطوريا قائما على تلمس آراء،واقوال، وآثار اللغويين العرب القدماء على وجه العموم ولسان العرب لابن منظور على وجه الخصوص، مستخلصا بالادلة والشواهد كثيرا من الجوانب العلميّة التي تؤكّد أنّ للعرب درسا في تاريخ الكلمة وتطورها ووسائل نموّها لا يجوز ان يكون بمعزل عما استقل اليوم علما خاصا واعني به (علم اصول الكلمات).

ولست ازعم ان ما قمت به يتناول جميع النواحي التي يمكن معالجتها في اطار هذا الدرس، بل اني لم اقصد منذ البداية الاحاطة بكل نواحيه، فهي اشد تعقيدا، وتعددا، وتشعبا من ان يحيط بها بحث متواضع مثل بحثي.

ومع هذا لم يكن عملي وليد لحظات عاطفية، او لحظات تعصّب للتراث وانما هو وليد زمن من البحث الصبور بقيت عاكفا عليه مراعيا له الى اليوم، محاولا ان اقول عبره اشياء جديدة، وان اكشف عن ومضة من ومضات التراث اللغوي العربي الخالد ووجها من وجوه اصالته.

أنا ادّعي ذلك، وارجو من الله القدير ان يوفقني الى ان أظفر من غيري من الخيرين بصحة دعواي.

والله الموفـــق أوّلا وآخرا

علم (اصول الكلمات) في التراث العربي

تستبد الاهواء احيانا ببعض الباحثين فيتهم البحث اللغوي عند العرب بانه «بحث معياري وليس بحثا تاريخيا وصفيا وهذه ـ عنده ـ نقطة خلاف جوهرية بين الدراسات اللغوية القديمة والدراسات الحديثة كما تمثلت عند العلماء الغربيين»[1].

فاذا جاؤواالى الدرس المعجمي عند العرب قالوا انه «ناقص تشوبه شوائب وتعتريه هنات، فيه فوضى في التنسيق والتبويب، وخلط بين مادة واخرى، وبين المعنى الحقيقي والمجازي وانه عديم الدقة في التحديد وتقصّي المعنى، واهمال ذكر المولّد والعامي، وانه ايضا فاشل في تفسير الدخيل»[2]. وانه معجم «مصاب بالتخمة والتضخم، دوّن كل ما هو مسموع ثقة وغير ثقة، واسرف في ذكر الاعلام الاعجمية وتصريفها».[3].

وان المعجميين العرب «قد وجّهوا عنايتهم الى ذكر معاني الكلمات، والاستشهاد عليها احيانا بالقرآن والحديث والمأثور من كلام العرب، ولكنهم اغفلوا اغفالا تاما تعقب كل كلمة في مراحل حياتها وشرح تطور مدلولها في مختلف العصور، وبيان الاصول التي انحدرت منها. . . وما الى ذلك من البحوث القيمة التي تشغل الآن اكبر حيّز في المعجمات الافرنجية الحديثة، وتهمّ كثيرا من الباحثين في فقه اللغة»[4]. وغير ذلك من الاقوال التي تنتقص من الجهد العظيم الذي اسداه اللغويون العرب القدماء عموما، والمعجميون على وجه الخصوص.

وعلى الرغم من ان توصّل اللغويين المحدثين الى كشف لغات وكتابات باكملها، وتطور وسائل البحث اللغوي التاريخي، وتقدم علم

---

(1) ـ العمري. (زينب عبد العزيز). اللغة بين القدماء والمحدثين. ص 37.
(2) ـ فريحة. (انيس). في اللغة العربية وبعض مشكلاتها. ص 131.
(3) احمد امين. اسباب تضخم المعجمات العربية. ص 36.
(4) وافي. فقه اللغة. ط 4 ص 288.

الاصوات اللغوية، واتّساع المعلومات التي يقدمها علم اللغة العام، قد ساعد على ان يكون البحث في اصول الكلمات وتطورها علما مستقلا، او فرعا من فروع علم اللغة القيمة، غير اننا لا يجوز ان نغمض عيوننا عن الرحلة الطويلة التي قطعها اللغويون العرب عبر التاريخ، وهم يعالجون الكلمة على وجوه شتّى، ومنها البحث في اصولها وتطورها ودلالاتها، فلقد دلّت التحريات التي قام بها العلماء المعاصرون على ان البداية في تصنيف المعجمات بداية سومرية، اذ عثروا على مصنّفات تتناول الهجاء والمفردات وشرح الالفاظ باعطاء مرادف او تعريف لها تقوم جزئيا مقام المعجمات الأحادية اللغة يرجع تاريخها الى عام (2600ق.م) كذلك كشفت التحريات التي اجريت في (اوغاريت) داخل مكتبة (ربعانو) على فهرس رباعي اللغة يشمل السومرية، والاكادية والحورية والاوغاريتية[5]. فاذا تقدمنا مع التاريخ العربي حيث القرن الاول للهجرة، وتفحصنا الآثار العربية فيه وفي القرون التي تلته تبين لنا مقدار الجهد والاهمية التي عقدها علماء العرب الاوائل لدرس الكلمة واصولها، وطرائق نموّها، وما سنّوه من اجل ذلك من سنن وقواعد وضوابط، وما اوجدوه من مصطلحات وتسميات.

لقد فرضت علوم القرآن على العرب المسلمين ان يعمدوا بادىء ذي بدء الى كتاب الله سبحانه، يفسّرونه، ويتعقبون الفاظه، وكانت الحاجة الى معرفة لغة القرآن وغريبه سببا في خوضهم في بحوث عن الكلمة ودلالتها، بل اصولها. فقد وضع (ابو سعيد ابان بن تغلب البكري) (ت. 141هـ) كتابه الموسوم بـ (الغريب في القرآن)، ووضع (ابو عبيدة معمر بن المثنى) (ت. 210هـ) (مجاز القرآن)، (والقاسم بن سلام) (ت. 224 هـ) (غريب القرآن) و(غريب الحديث)[6] و(الغريب المصنف) (وابن قتيبة عبد الله بن مسلم) (ت. 267هـ)

---

(5) انظر: مونين. علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين. ص 48 وما بعدها.

(6) طبع بحيدارباد بين سنتي 1964 - 1967.

(المشكل) و(الغريب). وقد انتهى البحث في لغة القرآن الى القول بان فيها كلمات اعجمية الاصول عربية الالفاظ، والى هذا ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام الهرويّ غير ان (أبا عبيدة) ذهب غير هذا المذهب وقال: «اللفظ يوافق اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد» وقد تبعه على هذا المذهب (الطبري) (ت. 310هـ) في تفسيره، والثعالبي (ت. 429هـ) في فقه اللغة، وعند هؤلاء ان ما جاء من اشكال يخيل الى الناظر انها اعجمية هو من باب توافق اللغات على ان (ابا حاتم الرازي) (ت. 322هـ) قد ذهب الى ان معاني الاسماء في القرآن منها ما هو عربي عرفته العرب، ومنها ما جاء في القرآن ولم تكن العرب تعرفه، ومنها ما جاء في القرآن من الفاظ العجم [7].

وقد رأى بعض المتأخرين رأيا توفيقيا فما ظن من الفاظ القرآن أعجميا انما هي «الفاظ اقتبسها العرب من لغات اجنبية وصقلوها وهذبوا صورتها ثم شاعت في كلامهم قبل الاسلام فلما جاء الاسلام وجدها تكون عنصرا من عناصر اللغة، ووجد الناس لا يكادون يشعرون بعجمة فيها فمثلها مثل كل الكلمات العربية التي كانت تجري على ألسنتهم»[8]. وقد صرف اللغويون العرب الاوائل جهدا في دراسة القراءات القرآنية والتاليف فيها، ومن المعروف ان القراءات «تقوم على تغيير في الحركات وتغيير في الابنية والصيغ، وتغيير في الاصوات، وتغيير في الالفاظ، ومجموع هذا يدلّ على ان طرق التعبير الخاصة وجدت طريقها الى لغة التنزيل»[9] وان اهتمام اللغويين العرب بهذا الضرب من الدرس مكنهم ويمكننا اليوم من الوقوف على شيء من خصائص العربية ولهجاتها التي كانت شائعة في القرن الاول للهجرة، وتاريخ

---

(7) ـ انظر: السيوطي. بغية الوعاة. ج 2 ص 253.
(8) ـ السامرائي. دراسات في اللغة. ص 144 ـ 145.
(9) ـ نفسه. ص 20.

الكلمة العربية وما طرأ عليها من تغيير، كالحذف والهمز، والتسهيل، والفك والادغام، والقلب، والاعلال، والابدال وغير ذلك مما اشتملت عليه القراءات القرآنية ولهجات العرب بما يمنح اللغة العربية ميزة دون سائر لغات العالم اجمع اذ لا توجد لغة في وقتنا الحاضر فيها صورة منطوقة للهجاتها القديمة، فقد درج لغويونا على دراسة اللهجات العربية، – وهي ليست لهجات عامية كما نفهمها في العصر الحديث، وانما هي «عناصر لغوية تنتسب الى قبائل معينة، وقد دخلت اللغة الموحّدة، واصبح لها مستوى من الفصاحة مقرر ومعروف»[10]، ووضعوا في ذلك مصنّفات كثيرة[11] وألفوا كتبا في ظواهر لهجية متعددة كالقلب المكاني، والابدال، وسقوط الهمز، والاعلال، وغير ذلك مما نجده في كتب من نحو: (اصلاح المنطق) لـ(ابن السكيت) (ت. 244هـ) و(المذكر والمؤنث) لـ(ابي بكر بن الانباري) (ت. 328)، و(لحن العوام) لـ(الزبيدي) (ت. 379هـ) و(درة الغوّاص) لـ(الحريري) (ت. 516هـ) وغير ذلك كثير.

وقد لقبوا كل ظاهرة لهجية بلقب معين منسوب او غير منسوب، فهناك: الكشكشة، والفحفحة، والعجرفة، والتلتلة، وغير ذلك مما يوقفنا على شيء من تطور اللغة واسبابه[12]. والناظر في التراث العربي الذي يهتم بالبحث في الكلمة العربية يقف على دراسات مستفيضة للالفاظ العربية المهملة، والمستجدة في شؤون الحياة جميعها دينية، او علمية، او ادارية، او طبية، او تجارية، او غير ذلك مما يؤكد ان لغوينا الاوائل قد ادركوا ان اللغة كائن عضوي يولد ثم يحيا، ثم يموت. فقد نقل (ابن دريد) (ت. 221هـ) عن (ابي عمرو بن العلاء)

---

(10) ـ الراجحي (عبده) فقه اللغة. ص 110.

(11) ـ من هذه الكتب نذكر: اللغات ليونس بن حبيب (ت 183 هـ) واللغات للفراء (ت. 207 هـ) واللغات لابي عبيدة (210هـ) واللغات للاصمعي (ت. 213 هـ) وفي الصاحبي كلام عن (اختلاف اللغات. ص 48 ـ 52).

(12) ـ انظر. د. رمضان عبد التواب. فصول في فقه اللغة. ص 98 وما بعدها.

(ت. 154هـ) قوله: «مضنى كلام قديم قد ترك»[13] ونقل (ابو جعفر ابن النحـاس) (ت. 338هـ) عن (الكسائي) (ت. 189هـ) قولـه: «محبـوب من حببت، وكأنها لغة قد ماتت»[14]، وكتب (ابن فارس) (ت 393هـ) ما نصّه: «كانت العرب في الجاهلية على ارث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم فلما جاء الله ـ جلّ ثناؤه ـ بالاسلام حالت احـوال، ونسخت ديانـات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة الفاظ من مواضع الى مواضع اخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الاول. . .فكان ممّا جاء في الاسلام ذكر: المؤمن، والمسلم، والكافر، والمنافق. وان العرب انما عرفت المؤمن من الامان والايمان هو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط واوصافا بها سمي المؤمن بالاطلاق مؤمنا، وكذلك الاسلام والمسلم، وانما عرفت منـه اسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من اوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر الا الغطاء والستر، فأمّا المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم ابطنوا ما أظهروه، وكان الاصل من نافقاء اليربوع، ولم يعرفوا في الفسق الا قولهم: فسقت الرُّطبة اذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الافحاش في الخروج عن طاعة الله ـ عزّ وجلّ»[15].

وكـتـب (الـسـيوطي) (ت. 911هـ) في (الضعيف، والمنكـر والمـتروك من اللغـات) و(الـردي والمـذمـوم، والحـوشي، والغرائب، والشوارد، والنوادر، والمهمل، والمستعمل، والالفاظ الاسلامية)[16]، وهـذا وغيره يذكّرنا «بدراسات العالم الطبيعي السّويدي (لين) والعالم الفـرنسي (كـومن) اللّذين استطاعا في ميدان تخصصهما الحصول على معلومـات موضـوعية عن كيفية تطور الاحياء، مما دفـع باللغـويين

---

(13) ـ ابن دريد. الجمهرة. ج 1 ص 106.
(14) ـ السيوطي. المزهر. ج 1 ص 10.
(15) ـ ابن فارس. الصاحبي. ص 79 ـ 80.
(16) ـ السيوطي. المزهر. ج. 1 ص. 10 وما بعدها.

المحدثين ان يستغلوا تلك المعلومات في القول بان اللغة هي ايضا جهاز عضوي مثل الاحياء لانها تولد، وتنشأ، وتكبر، وتترعرع، وتكتهل، ثم تشيخ، وتموت، تماما كما يقع للاحياء[17].

وقد تناول القدماء ايضا الالفاظ الاعجمية بالدرس، فقد خصّص (الثعالبي) الباب التاسع والعشرين من كتابه لبيان ما يجري مجرى الموازنة بين العربية والفارسية، ولما نسبه بعض اللغويين الى اللغة الرومية[18]، مقرّا بذلك مبدأ الاقتراض اللغوي الذي سبق اليه (ابن جني) (ت. 392هـ) في تقرير هذا المبدإ مشيرا الى مظاهر انتقال الكلمات الاجنبية الى العربية وكيفية هذا الانتقال من ذلك تعريفها بالالف واللام، واعرابها على النسق العربي، والاشتقاق منها مع ما يمكن ان يحدث من تغيير عند النقل[19].

وصنيع (الثعالبي) يشبه صنيع (الجواليقي) (ت. 540هـ) في كتابه (المعرب من الكلام الاعجمي)[20].

ولا ننسى في هذا المجال أبا حاتم احمد بن حمدان الرازي صاحب (الزينة) الذي نعده من اظهر الدراسات التطورية التاريخية لعدد من الالفاظ الاسلامية، تتبع فيه (الرازي) اصولها ومعانيها مبتدئا من العصر الجاهلي حتى العصر الاموي.

وحاول (شهاب الدين، احمد الخفاجي)(ت. 1069 هـ) في (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) ان يفرق مجاميع الالفاظ الداخلة من لغات اخرى الى اللغة العربية إذ يقول: «اعلم انهم

---

(17) ـ التهامي. توطئة لدراسة علم اللغة. ص 52 ـ 53.

(18) ـ انظر: الثعالبي. فقه اللغة وسر العربية. ص 450 ـ 453.

(19) ـ انظر. ابن جني. الخصائص. باب (في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب). ج 1 ص 357 ـ 359.

(20) ـ انظر على سبيل المثال، الجواليقي. المعرّب من الكلام الاعجمي. البابين التاسع عشر والعشرين.

قد يغيرون الكلمة الاعجمية كما سيأتي، والتغيير اكثر من عدمه، فيبدّلون الحروف التي ليست من حروفهم الى اقربها مخرجا، وربما ابعدوا الابدال في مثل هذه الحروف وهو لازم لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه، فيبدلون حرفا بآخر، ويغيرون حركته، ويسكنونه، ويحرفونه وينقصون، ويزيدون، فما كان بين الكاف والجيم يجعلونه جيما او كافا، او قافا كما قالوا، كربج، قربق، بمعنى: الحانوت. . . ويبدلون الباء المخلوطة بالفاء بالباء او الفاء نحو: برند، وفرند (فرند السيف: جوهره) ويبدلون الشين سينا نحو: دست في: دشت، وسروال في: شروال، واسماعيل في اشماعيل. . . »[21].

فاذا زدنا على ذلك ما كتبه اللغويون الاوائل في موضوعات من نحو: القلب والابدال[22]، والاشتقاق[23]، والنّحت[24]،

---

(21) ـ الخفاجي. شهاب الدين. شفاء الغليل. ص 4 ـ 5.

(22) ـ وضع (ابن السكيت. ت. 244 هـ) رسالة صغيرة سمّاها (القلب والابدال) جمع فيها نحو (200) كلمة من كلمات اللغة العربية تميزت بانّ كل اثنتين منها تعبّران عن معنى واحد، ولا يختلف لفظهما الا في حرف واحد مثل: التهتان، والتهتال، فكل منهما يعني سقوط المطر، ولا يختلف اللفظ الا في أنّ النون في الأولى قد حلّت محل اللاّم في الثانية.

غير ان (ابن السكيت) لا يدلّنا على ايّ الصورتين هو الأصل، أو أيهما أكثر شيوعا في أساليب اللغة. انظر: انيس. دلالة الالفاظ. ص 69.

(23) ـ حاول (ابن دريد. ت. 321 هـ) في كتاب (الاشتقاق) ان يعتبر لكل إسم من أسماء القبائل العربية مأخذا يشتق منه مواد الكلمة. وقد حاول ابن جني في دراسته الاشتقاق ان يفكّ عناصر الكلمة لمعرفة الطريقة التي بها ركّبت، والعمل الوظيفي لحروفها، وما لها من صلات مع غيرها سواء اكانت ثنائية البنية، ام ثلاثية، ام غير ذلك مما يمكّن من الوصول الى أصل الكلمة، ومعناها العامّ، وبيان تاريخ نشوئها وتكوّنها وتقليب مواقع حروفها، وتنوّع دلالاتها.

انظر: ابن جنّي. الخصائص. ج 2 ص 157 ـ 163.

(24) ـ بنى (ابن فارس ت 392 هـ) معجمه (مقاييس اللغة) على فكرتي الأصول والنحت، وحاول ان يدرج مفردات المادة اللغوية الواحدة تحت أصل أو أصلين.

والمثلثات[25]والاضداد[26] والمداخل[27]، وتلاقي المعاني[28]، وتصاقب الالفاظ[29]، تبين لنا مقدار الجهد العظيم الذي صرفه اللغويون العرب وهم يدرسون الكلمة العربية على وجوهها المختلفة، بنياتها، واصولها، واحوالها، ودلالاتها، وتطورها، وطرائق نموّها. واذا كان البحث في دلالة الالفاظ ليس من مهمة باحث في (اصول الكلمات) غير انه يساعده على الوصول الى اغراضه المتوخاة، فانا قد وجدنا للعلماء العرب حديثا طويلا في صلة اللفظ بمعناه، وعلى الرغم من تضارب الآراء التي طرحها اولئك العلماء في هذا الشأن، وتعارضها فنحن نلمس في تراثنا القديم احساسا قويا باستقلال المعاني عن الالفاظ «ولا يوجد

---

(25) ـ المثلث او المثلّثات هو مجموعة تضمّ مفردات لها الصيغة الصرفية نفسها ومركبة من الحروف عينها، فما يتغيّر الا حركة فاء الكلمة، أو عينها فيحصل بتغير الحركة تغيّر في المعنى، وفيه انتقال من مجال دلالي معين الى مجال ثان وقد تفطّن الى هذه الظاهرة في غير المفردات التي حصرها (قطرب ت 206هـ) في مثلثاته آخرون، واضافوا، فأثروا، والّفوا المجلدات والتصانيف.
انظر: قطرب. المثلثات. ص 12.

(26) ـ من ذلك كتب الاضداد لابن السكيت، والسجستاني (ت. 225 هـ)، وابي الطيب اللغوي. (ت. 351 هـ).

(27) ـ وهو ان تذكر الكلمة وتفسّر بكلمة ثانية، وتفسّر الثانية بثالثة وبرابعة، وهكذا مع الاستشهاد لهذا كلّه. وأول من ألّف فيه (ابو عمر الزاهد البغدادي. ت 245 هـ) واضع كتاب (المداخل)، وعُرفَ هذا الضرب من التأليف عند المتأخرين باسم (المسلسل) فقد وضع (محمد بن يوسفَ السَّرقسطي الاندلسي. ت 538 هـ) كتابا سماه (المسلسل).

(28) ـ الاطار الذي عقده ابن جني في (باب تلاقي المعاني على اختلاف الاصول والمباني) هو أن يلتزم بوزن صرفي محدد ثم يسعى لجذب المعاني المتواردة من أصول مختلفة، مثال ذلك ما يأتي على وزن (فعيلة) فجميع موادها تصلي الى افادة معنى عام، وهي تؤذن بالالف والملاينة والاصحاب والمتابعة. انظر: ابن جني. الخصائص. ج 2 ص 158 ـ 166. ود. مصطفى مندور. اللغة بين العقل والمغامرة. ص 82.

(29) ـ اكد ابن جنّي في (تصاقب الالفاظ) قوة ارتباط المعاني بالالفاظ فكلما تصاقبت المعاني وتلاحقت تصاقبت في المخارج الالفاظ المعبّرة عنها، وعلى هذا فالتصاقب المعنوي اساس التصاقب المخرجي وعموده الذي يقوم عليه، كما هو في نحو: (أزّ) و(هزّ) وهما يدوران حول التحريك وهو في الأزّ معنوي، وفي الهزّ حسّي، فلما تصاقبا في المعنى العام تصاقبا مخرجا. انظر: ابن جني. الخصائص ج 2 ص 146.

متكلم، او فيلسوف، او فقيه، او صوفي إلا ونبّـه انه لا مشاحة في الالفاظ، وان صلة المعنى باللفظ كصلة النفس بالبدن، اي صلة تمييز واستقلال»[30] ولعل موقف (سيبويه ت. 181هـ) كان صحيحا حين «حمل كلام العرب على المعاني، وخلى الالفاظ في حين ان الفراء حمل العربية على الالفاظ والمعاني فبرع»[31]، لان الاهتمام بالدلالة اي افادة المعنى ظاهـرة لغـوية أساسا ومـا المدارس اللغوية المعاصرة الجادّة كالمدرسة التوليدية التحويلية الا ثورة على من اقصى الدلالة في الدرس اللغوي[32]. ان المقابلة بين اللفظ ودلالته مازالت موضع بحث يحاول ان يقدم التفسيرات والحلول المنطقية او النفسية او اللغوية[33].

أصول الكلمات وتطوّرها في لسان العرب

من الجـائـز القول ان العربية قد صفرت من معجم اشتقاقي تأصيلي، او ما يسمى بـ(المعجم التأثيلي) الذي يبحث في اصول الفاظ اللغة ومنابتها الاولى، ومن الجائز القول باننا لا نملك معجما تطوّريًا تاريخيًا يهتمّ بأصل الكلمة ويتتبّع استعمالاتها عبر العصور والنّصوص، وما يطرأ عليها من تطوّر، فيثبّت ذلك ويؤرّخ، غير أنّه لا يجوز أن نقول ان اللغـويين العـرب لم يعـالجوا تاريخ الكلمة او اصلها عبر آثارهم اللّغوية التي لا تحصى، فقد صرفوا جهدا كبيرا في درس ذلك واننا وان وجـدنـا أغلبية تلك الجهـود قد انصبّت في سياق دلالي على وجـه الخصوص، الا اننا لا نعدم مفاهيم، واشارات، وآراء، ومحاولات كثيرة عن اصول بعض الكلمات، وتاريخها، وتتبع وجوه استعمالها، واسباب

---

(30) ـ الربّاع. ص 85.

(31) ـ انظر: الزبيدي (ابو بكر محمد). طبقات النحويين واللغويين. ص 143 – 144. وقد جسّد الجاحظ (ت. 255 هـ) مفهوم الدلالة كما رآه سيبويه خير تجسيد. انظر: الجاحظ. الحيوان. ج 3 ص 131.

(32) ـ انظر على سبيل المثال: Haya Kawa. (S.I) Language in Thougth and Action. P.27

(33) ـ انظر جون لاينز. ص 32 ـ 33.

نمـوّها، وتطورها، ووسائل هذا التطور والنمو، بما يمكن عدّه بداية مبكّرة في مجال ما يسمى اليوم بـ(الاتيمولوجيا) وعلى وفق وجهة النظر الحديثة.

ولقـد عكفت في الصفحات السابقة على تلمس تلك الآراء، والمحـاولات، والاشـارات عبر عشرات من الكتب اللغـوية التي بين ايدينا، واحاول في الصفحات اللاحقة ان اتصفح المعجم العربي الكبير (لسان العرب)، هذا المعجم الذي احتفظ بمواد لغوية قديمة قد لا نجـدهـا في معجـمات اللغـات التي تدخـل ضمن الارومـة العـربية (السـامية)، وهـذه المـادة اللغـوية تعكس لنا بجلاء حقيقة واضحة تتلخص في ان الذي يسود في جميع عمليات التغيير هو استمرار المادة اللغوية القديمة «فعدم الالتزام بالماضي ليس سوى شيء نسبي وهذا ما يجعل مبدأ التغيير يستند الى مبدإ الاستمرارية»[34]، ومن هنا فانّا يمكن ان نركن الى هذا القـديم ندرسه، ونتفحصه، ونستفيد منه في كتابة تاريخ الكلمـة العـربية وتـطورها، في معجم تطوري تأصيلي منابعه الاساس هي المعجمات العربية المتعددة، ونستفيد منه ايضا في تفسير عدد كبـير من الكلمات الـواردة في النقـوش القـديمـة مثلما فعـل المستعـربـون، فقـد ذكـرت المعجمات ومنها لسان العرب مثلا اسماء الاشهـر الجـاهلية المهجورة مثل: (خوّان، وناجر)[35]، والتي حلت محلها الاسماء الاسلامية كـ(شعبان، رمضان) ولكن مستعربا استعان بها لتفسير اسماء الاشهر الواردة في النقوش قبل الاسلام[36].

---

(34) ـ رولون ولز. علم اللغة الحديث. ص 94.

(35) ـ في اللسان (نجر): «كانت العرب في الجاهلية تقول للمحرم مؤتمر، ولربيع الاول خوّان؛ وكل شهر في صميم الحرّ فاسمه ناجر، لان الابل تنجر فيه اي يشتد عطشها حتى تبيد جلودها، وصفر في الجاهلية يقال له ناجر... ويزعم قوم انهما حزيران وتموز، وقيل رجب».

(36) ـ انظر: فريحة (انيس) نظريات في اللغة. ط 2. ص 99.

وعلى الرغم من أنّ المادة اللغوية لا يمكن ان تستكمل في معجم لغوي واحد مهما بلغت سعة الفاظه، لان الصيغ اذا نمت في الحياة الاجتماعية دلّت على معان جديدة، وان الالفاظ المتداولة تدخل في مجال الحياة المعيشة وتأخذ منها دلالاتها إلاّ اننا نجد في لسان العرب مادة لغوية ثمينة عوّل فيها صاحبها ابن منظور (ت. 711هـ) على اصول خمسة ذكرها في خطبته واكثر من الاحالة عليها في ثنايا معجمه[37]، وهي: تهذيب الازهري (ت. 370هـ) وصحاح الجوهري (ت. 392هـ) ومحكم ابن سيده (ت. 458هـ) وحواشي الصحاح لابن برّي (ت. 582هـ) ونهاية ابن الاثير (ت. 606هـ) مما يجعله اثرا لغويا حيّا تقوم عليه دعائم المعجمات الحديثة، ومصدرا معتمدا في التأليف المعجمي الذي يهدف الى بناء المصطلحات اللغوية، والعلمية، والادبية، والفنية وغير ذلك بحسب ما تدعو اليه الحاجة من ضروب القول. ان الباحث المتفحص سيقف من خلال لسان العرب على جملة من الحقائق العلمية التي تشكل اليوم احدى مهمات الباحث (الايتمولوجي) المعاصر، سواء أكانت تلك الحقائق في (اصول الكلمات) ام في تطورها، وطرائق نموّها، لانّا نرى ان البحث في اصول الكلمات يرتبط في اكثر اوجهه بالبحث في طرائق النمو، والتطور اللغوي في أيّة لغة، وعلى العكس فان دراسة تلك الطرائق تقودنا الى شيء أو اشياء من اصول الكلمات ومنابعها الأولى؛ ومن هذه الحقائق نذكر الآتي:

أوّلا:

في أصول الكلمات:

لا نعني هنا باصل الكلمة مكوّنها البنائي كأن يكون ثنائيا، او ثلاثيا، او غير ذلك، فان هذا ما تكشف عنه طرائق النمو اللغوي من

---

(37) ـ انظر: ابن منظور، اللسان. ج 1 ص 8.

اشتقـاق، ونحت، والحـاق، وغير ذلك مما سيأتي ذكره، ولكني اعني بالاصول هنا عجمة الكلمة أو عروبتها، مما يوقفنا على ملامحها الاولى، ومسيرتها على اللسن العربي. وفي البحث عن أصل الكلمة بهذا المفهوم من خلال لسان العرب نقف على حقائق ثلاث تشير اما الى عجمةالكلمة او عروبتها، او الى بيان اصلهـا اللّهجيّ، او اصلها الفصيح الذي حفظته العاميّة وعلى النحو الآتي:

أ - **عروبة الكلمة او عجمتها :**

. اخذ هذا النوع نصيبا وافرا من جهود العلماء العرب، وعدّ قضية بالغ بعض العلماء في التّعصّب لها، فقد اقّر بعضهم اعجمية الفاظ دخلت اللغة العربية، وجاءت في اشعار شعراء ماقبل الاسلام، وما بعده من الاسلاميين والمولدين وزادت في اشعار العباسيين، وقد ذكرت هذه الالفاظ في مؤلفات الفلاسفة والاطباء وغيرهم. ان مثل هذه الالفاظ (الدخيلة) او (المعربة)[38] موْجود في كل اللغات فهي جميعا تستورد الدخيل بحسب حاجتها، وقد يتسرب اليها ايضا رغم انفها، اذ «لا يكاد يعقل ان تتم عملية تبادل حضاري غير مشفوعة بتبادل لغوي في الوقت ذاته»[39]، ولا يمكن لاية لغة متقدمة عاشت زمنا من عمرها في حضارة زاهرة، وعلم راق، وفكر عال، وادب رفيع ان تكتفي بثروتها المحلية كما انه لا يمكن ان تنجو اللغات الاخرى من تأثيرها[40].

---

(38) ـ اللفظ المعرّب هو لفظ استعاره العرب الخلّص في عصر الاحتجاج باللغة من أمّة اخرى، واستعملوه في لسانهم، والدخيل لفظ اخذته اللغة من لغة اخرى في مرحلة من حياتها متأخرة عن عصور الاحتجاج الخلص الذين يحتج بلسانهم، وتأتي الكلمة الدخيلة كما هي أو بتحريف طفيف في النطق مثل (كوفيّة) (وهي في اللاتينية غطاء الراس للنساء) و(جمرك) (من اللاتينية كمركيوم اي تجارة، وقد دخلت الى العربية بواسطة التركية:(كمرك) وقد عدّ القـدماء العرب المعرب دخيلا انظر: السيوطي: المزهر ج 1 ص 263. ود. ظاظا (حسن). كلام العرب. ص 79.

(39) ـ ظاظا. من كلام العرب. ص 63.

(40) ـ انظر: المصدر السابق. ص 73.

وعلى الرغم من صعوبة البتّ في امر المعرّب او الدخيل والتمييز بينهما في لغتنا بشكل خاص لكونها لغة قديمة موغلة في القدم، وبغض النظر عن اساليب القدماء في تعريب الالفاظ الاعجمية، فانّا نجد أكثر لغوبينا قد امتلك مفتاح الشك في اصل الكلمة الدخيلة، وفرزها عن الكلمة العربية الاصيلة، وان لم يجزموا بفرعية الكلمة المعينة المشكوك في اصلها او اصليتها، فاقوال من نحو قول (ابن دريد) «لا احسب الكافور عربيا لانهم ربما قالوا: العفور، والقافور»[41] وقول (الازهري) عن (النسرين) وهو نوع من الرياحين: «لا ادري اعربي ام لا»[42]، وقول (الجوهري) عن (الجيت) «كل ما عبد من دون الله... وهذا ليس محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة من غير حرف ذولقي»[43]، تؤكد ذلك الامتلاك الذي وضح ايما وضوح في لسان العرب، ففيه اشارات الى الفاظ في القرآن الكريم ذات اصول عربية قديمة (سامية)، وجدت في اغلب اللغات المتفرعة عن العربية الام، ومن ذلك كلمة (الطور) في قوله تعالى «والطور وكتاب مسطور»[44] فقد ذكر ابن منظور ان الطور الجبل، وطور سيناء جبل بالشام وهو بالسريانية طوارى[45] وان كلمة (الربانيون) جمع ربّاني وهو العالم الراسخ في العلم والدين او الذي يطلب بعلمه وجه الله... وقيل: العالي الدرجة في العلم... قال ابو عبيدة: «واحسب الكلمة ليست بعربية، انما هي عبرانية او سريانية، وذلك ان ابا عبيدة زعم ان العرب لا تعرف الربانيين... وفي التنزيل كونوا ربّانيين»[46]. و(اليَم) البحر

---

(41) ـ ابن منظور (كفر).
(42) ـ نفسه: (نسر).
(43) ـ نفسه (جبت).
(44) ـ من سورة الطور/52.
(45) ـ ابن منظور (طور).
(46) ـ ابن منظور (ربب). والاية من سورة آل عمران/79.

الـذي لا يدرك قعره ولا شطاه. . . وزعم بعضـهم انها لغة سريانية فعربتة العرب، واصله يمّا»[47].

«وقد وجدت في العربية مواد دخيلة من اصول غير سامية، ولكن العربية طبعتها بطابعها واستعملتها استعمالات كثيرة»[48] وقد أشار الى بعض من هذه المواد ابن منظور من ذلك بعض اسماء المدن والامكنة فـ«بغداد، وبغداذ، وبغذاد، وبغدين، وبغدان، ومغدان، كلها اسم مدينة السلام وهي فارسية معناه: عطاء صنم لأن (بغ) صنم و(داذ) واخـواتهـا عطية يذكـر ويؤنث وحـرفوه عن الذال الى الدال لان داذ بالفارسية معناه اعطى، وكرهوا ان يجعلوا للصنم عطاء، قالوا: داد، ومن قال دان فمعناه ذلّ وخضع»[49].

وان نظرنـا الى اسماء الزهور والرياحين وجدنا كلمات من نحو (سوسن، ونرجس، وياسمين) ترد في اللسان بما نصه «السوسن، نبت اعجمي معرب، وهو معروف، وقد جرى في كلام العرب، قال الاعشى:

وآس وخـيري ومـرو وسـوسـن
إذا كان هِيزَمْنٌ ورحـت مخشـما[50]

وقد يلفت انتباهنا هذا البيت الى الدلالات اللغوية التي تظهر من خلال الفاظ الزهور مثل: آس، وخيري، ومرو، وسوسن، بأنها

---

(47) ـ ابن منظور (يمم).

(48) ـ السامرائي. دراسات في اللغة. ص 73.

(49) ـ ابن منـظور (بغداد). وعندي انّ اصل بغداد/عربي يعود الى عهد حمورابي (ق 18 ق.م) فقد كانت في عهده مدينة مسماة باسم: بكداد. وقد ورد اسم بغداد في الاثار البابلية ايضا قبل احتلال الفرس لهذه الربوع.
وفي أصل هذا الاسم أقوال أخر.
انظر: توفيق وهبي. العقد والاستطراد في اصول معنى بغداد. ص 46.

(50) ـ ابن منـظور (سـوسن)، و(خشم). وهيزمن وهينـزمن، وهينـزمـر. كلّهـا من أعياد النصارى. ابن منظور (هيزمن). والبيت في ديوان الاعشى. ص 186.

انـواع من الـرياحين تدلّنا على بعض الفاظ الزهور التي تغذي المادة اللغوية وتساعد على تطور معانيها من خلال لسان العرب.

ونجـد لفظ (النـرجس) يرد في اللسـان بما نصه:«النرجس من الـرياحـين، معـرب والنون زائدة لانه ليس في كلامهم (فعلل) وفي الكلام نفعل»[51].

ونلقى في اللسان كلمات من نحو (انجيل) مذكورة بما نصه:«هو كتـاب عيسى يذكـر ويؤنث فمن أنّث اراد الصحيفة، ومن ذكر اراد الكتاب وهو اسم عبراني او سيرياني، وقيل هو عربي، وقد اشتق من (النجل) اي :الاصل ويأتي بفتح الهمزة وهذا ليس من كلام العرب»[52].

و(الفـردوس) «البستـان قال الفـراء هو عربي، قال ابن سيده الفـردوس الوادي الخصيب عند العرب كالبستان، وهو بلسان الروم البستان. . . قال الزجاج وحقيقته انه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين وكذلك هو عند اهل كل لغة»[52].

ويفيدنـا اللسان في هذا المقام في ان نرد كثيرا من الاقوال التي تحكم بأعجميّة بعض الالفاظ الى العربية من ذلك نذكر كلمة (لغم) فقـد راى احد الباحثين أنّ كلمة (لغم) دخيلة من اليونانية المتأخرة (ليكيما) بمعنى انفجار جاءت عن طريق التركية[54] والحقيقة انها عربية موغلة في القدم جاء في اللسان «لغم لغما ولغما». وهو استخباره عن الشيء لا يستيقنـه واخبـاره عنـه غير مستيقن ايضـا، ولغم لغما كتم نغـما»[55]. وانـما سمى اللغم بهذا الاسم لانه مستور مخفي، وسواء

---

(51) ـ ابن منظور. (نرجس).
(52) ـ نفسه (نجل).
(53) ـ ابن منظور. (فردوس).
(54) ـ ظاظا. من كلام العرب. ص 72.
(55) ـ ابن منظور. (لغم).

كانت اقوال (ابن منظور) او غيره من اللغويين بعجمة الكلمة المعينة مبنية على البحث والتمحيص والعلم باللغات الاجنبية، ام مبنية على الظّن والتوهم كما يرى بعض المحدثين[56]، فان الذي يعنينا من أقوالهم تلك ما يثبت راينا في ان التراث العربي لم يخل من بحوث ودراسات، وآراء تعنى باصول الكلمة العربية وتاصيلها وتطورها.

ب ـ الاصل اللهجي :

قد يكون تعدد الصيغ، او تكاثر المشتقات في المادة اللغوية الواحدة مظهرا من مظاهر اختلاف اللهجات العربية التي وحّدها القرآن الكريم، وهذا الاختلاف كما هو معروف متعدد النواحي متشعب الجهات، فمنه ابدال الحروف وما نتج عنه من لهجات عربية مخالفة لما وسموه بأنّه افصح الكلام، وهذه اللهجات ثلاثة انواع: لهجات منسوبة الى أصحابها ولها لقب تعرف به، فالعنعنة واصحابها تميم، ومن جاورهم من اسد، وقيس، والفحفحة لهذيل، والوثم لاهل اليمن، والكشكشة لربيعة ومضر، ولهجات منسوبة الى اصحابها وليس لها لقب تعرف به كابدال الف (هنا) هاء فيقولون (هنه) او ابدال الحاء هاء لتقاربهما مخرجا، وقد نسب لسعد بن زيد مناة، ولهجات لا اسم لها، ولم تنسب لاحد[57] ومن مظاهر اللّهجات أيضا التصحيح، والاعلال، والزيادة، والنقصان، والفك، والادغام والقلب المكاني، والمشترك، والمتضاد، والمترادف، وهيئات النطق من إمالة، وتفخيم وترقيق، واخفاء، وهمز، وتسهيل، وغير ذلك مما نعده عنصرا من عناصر التوليد اللغوي قد يحكي قصة بعض الكلمات العربية. ولو تأملنا هذه الظواهر بمعية لسان العرب لوقعنا على مادّة غزيرة، وصيغ متنوعة، وفي

---

(56) ـ السامرائي. دراسات في اللغة. ص 145.

(57) ـ انظر: نجا (ابراهيم محمد). فقه اللغة ص 31 وما بعدها.

الوقت الذي لا نستطيع ان نمثّل لها جميعا في هذه الصفحات المتواضعة نذكر منها (القلب المكاني) وهو تقديم بعض حروف الكلمة على بعض كـ(جبذ) في (جذب) وهو من الابواب الهامة في توليد الالفاظ، وفهم كثير من الصلات بين الالفاظ ودلالاتها واصولها.

ولم تكن كلمة العلماء متفقة في هذا القلب، ففريق يرى انه قد حدث عند قبيلة معينة بمعنى ان الكلمة ومقلوبها نتاج مجموعة لسانية واحدة، او عند العرب جميعهم، ولهذا لم يفرق اصحاب هذا الراي بين صيغة واخرى، ومن هؤلاء (ابن دريد)، و(ابن النحاس) (ت ..338هـ) في شرحه على المعلقات واليه ذهب نحويّو الكوفة[58].

ولم يعدّه لغويو البصرة كذلك الا اذا امكن الحكم على احدى الكلمتين بالاصلية وعلى الاخرى بالفرعية، معتمدين كثرة الاستعمال والتصرف اساسا في هذا الحكم، فأيّ الكلمتين اكثر تصرفا واستعمالا من الاخرى فهي الاصل، والثانية هي الفرع ولذلك حكموا على (آرام) بانها مقلوبة من (أرآم) لكثرة استعمال الثانية وقلة الاولى عنها[59] فان لم يتمكنوا من الحكم على احدهما بالاصالة، وعلى الاخرى بالفرعية لتساويهما تصرّفا واستعمالا، عدّوا هذا النوع من قبيل اختلاف اللهجات. ذلك فحوى خلاف اللغويين، غير أننا اذا نظرنا في كتب اللغة وجدنا ان اصحاب الفريق الاول لا يسيرون على هذا النهج فكثير من الكلمات التي حكموا عليها بانها مقلوبة وردت على السنة اللغويين على انها من قبيل اختلاف اللغات، وعلى ذلك فيكون حكمهم غير مبني على اساس متين. جاء في اللسان:«المكفهر من السحاب الذي يغلظ ويسودّ، ويركب بعضه بعضا والمكرهف مثله، ووجه مكفهر قليل

---

(58) ـ نفسه: ص 47.

(59) ـ في ابن منظور (ارم): «الآرم، والأرم، والجمع آرام، وآروم. وهي الحجارة تجمع وتنصب في المَفَازَة لتكون عَلَما على الشيء».

اللحم غليظ الجلد، وقيل هو العبوس، والمكرهف لغة في المكفهر، او مقلوبة عنه»[60].

فهذا يدلّ دلالة واضحة على عدم استقرار فكرتهم عند التطبيق على الامثلة مع انهم قطعوا رأيهم آنفا بان ما يرد من هذا النوع فهو من القلب.

ومما يضعف وجهتهم انهم حكموا على (امضحلَّ) بانه مقلوب من (اضمحل) لقصور تصاريف (امضحل) عن المقلوبة عنها، ومعنى هذا الحكم ان الكلمتين من منطوق العرب جميعا او من مقول قبيلة معينة مع ان الوارد عن اللغويين غير ذلك. قال (ابن منظور):«اضمحل الشيء واضمحن على البدل عن يعقوب، وامضحلّ على القلب كل ذلك ذهب، والدليل على القلب ان المصدر انّما هو على اضمحل دون امضحلّ، وهو الاضمحلال ولا يقولون امضحلال»[61]، وقال «واضمحل السحاب تقشع واضمحل الشيء اي ذهب، وفي لغة الكلابيين امضحل بتقديم الميم حكاها ابوزيد»[62] ومن ذلك صاعقة و(صاقعة) فالأولى لغة جمهور العرب، والثانية لغة تميم ففي اللسان ما نصّه «الصاعقة الموت او العذاب المهلك، وفيها ثلاث لغات، صاعقة، وصعقة وصاقعة»[63]، «والصاقعة كالصاعقة حكاه يعقوب، ويقال صقعته الصاقعة، قال الفراء، تميم تقول: صاقعة في صاعقة»[64].

ومنه (طمأن) و(طأمن)، فقد رأى (سيبويه) أن (طأمن) هو الاصل (وطمأن) متفرع منه، واستدل على وجهته هذه بان الزيادة قد

---

(60) ـ ابن منظور (كفهر).
(61) ـ نفسه (ضمحل).
(62) ـ نفسه (ضمحل).
(63) ـ ابن منظور (صعق).
(64) ـ نفسه (صقع).

لحقت (طمأن) والزيادة اذا لحقت كلمة ادركها نوع من الضعف لان اختلاط الزائد بالاصلية اجهاد للكلمة، وتغيير فيها، والتغيير مجرى على حدوث غيره، وخالفه (أبو عَمْرو الجرمي) (ت. 225هـ) فرأى أن (اطمأن) هو الاصل، و(طأمن) متفرع عليه، وقد استدل على ذلك بأن الاصل هو الجدير بتحمل انواع التصرفات في الكلمة ويؤيده ان المصدر المشهور هو (الطمأنة)، وهو الموافق لما عدّ اصلا[65].

إنّ هذه الامثلة وغيرها كثير، قاطعة الدلالة على ضعف لغويّي الكوفة ومن شايعهم لبنائه على اساس ضعيف، وصحة رأي لغويّي البصرة الذي بني على التفرقة، وهو ان القلب يكون اذا لم تتساو الكلمتان تصرفا واستعمالا لإمْكَانِ جعل إحداهما أصلا والأخرى فرعا أمّا إذا تساوت الكلمتان تصرّفا واستعمالا فهو من قبيل اختلاف اللغات كما ظهر من كون (اضمحل) لغة جمهور العرب و(امضحل) لغة قبيلة معينة وهي كلاب، وكذلك (صاعقة) لغة جمهور العرب، و(صاقعة) لغة بني تميم وذلك في رأينا هو الذي يتماشى مع الواقع الملموس. وقد وضح هذا الامر في غير القلب المكاني، فعلى سبيل المثال نجد تخفيف الهمزة، او تسهيلها او تحويلها الى ياء مما «نقله النّحاة بعد ان وجدوا له اصلا في لهجات العرب»[66]، ومنه في اللسان «اهل مكة يخالفون غيرهم من العرب، يهمزون البريئة، والنبيء، والذريئة... وذلك قليل»[67]، ومنه ايضا «قرأ ابو عمرو وحده، بادىء الرأي بالهمز، وسائر القراء قرأوا بادي بغير همز»[68].

---

(65) ـ نفسه (طمن) وانظر: سيبويه ج 3 ص 57، 89.
(66) ـ تيمور (محمود) العامية الفصحى. ص 123.
(67) ـ ابن منظور (برأ).
(68) ـ نفسه (بدأ).

ج ـ الفصيح الذي حفظته العامية :

العـامية مظهـر لغـوي قديم، قائم في كل عصر في التـاريخ العربي، فقد ظهرت العامية ايام (الخليل) (ت. 175هـ)، وغيره من اللغـويين الاوائـل، و(للكسـائيّ) (ت. 189هـ) كتـاب في (لحن العامة)[69]، وتبعه في هذا الضرب من التأليف كثيرون، والذي يعنينا من هذه الـظاهـرة هو الاحتراس من الحكم على اللفظ المعين بصفة (العـامية) دون التحقق من اصـوله من المعجم العربي، فقد تطالعنا كلمات نظن لأول وهلة انها دخيلة او عامية ملحونة، ولكننا حين نحكم المعجم فيها نجدها من الفصيح، او من المحرّف عنه قليلا.

من ذلك كلمة (فاضي) بمعنى فارغ من اي عمل، وقد شاعت على السنة عوامّ المصريين، وهي فصيحة لها اثر في اللسان بهذا المعنى، جاء ما نصّـه (فاضت نفسه اي مات (خَلاَ من الروح) وهي بالضاد لغة. . . وفاض الحديث والخبر واستفاض ذاع وانتشر»[70] اي خلا من كونه مستورا.

ومن ذلـك (خشّ) بمعنى (دخـل) جاء في اللسـان «خشّ في الشيء يخش خشّا وانخش، وخشخش، دخل. . . وخششت في الشيء دخلت فيه، وانخش الرجل في القوم انخشاشا اذا دخل فيهم...»[71].

و(شـاف) بمعنى (رأى) جاء في اللسـان «شاف الشيء شوفا جلاه، والشـوف الجلو، واشتـاف فلان يشتـاف اشتيافـا اذا تطاول (ونـظر)، وتشوفت الى الشيء اي تطلعت، ورايت نساء يتشوفن من السـطوح اي: ينظرن. . .»[72] بل حفظت لنا العامية اصولا لغوية

---

(69) ـ حققه عبد العزيز الميمني سنة 1344 هـ.
(70) ـ ابن منظور (فيض).
(71) ـ نفسه (خشّ).
(72) ـ نفسه (شوف).

قديمة من لغات تنسب الى الأرومة العربية (السامية) نذكر من ذلك على سبيل المثال كلمة (شكارة) وتعني قطعة ارض وهي مستعملة في العراق جنوبه وشماله، وهي من الرواسب الآرامية[73].

ثانيا : تطور الكلمات وطرائق نموّها :

ان معرفة الطرائق التي تسلكها الكلمات في نموها وتطورها يمكن ان يوقفنا على ملامح تاريخها واصولها، بما يساعد الباحث في اصول الكلمات في الوصول الى نتائج علمية محققة. وقد تعددت طرائق نمو الكلمات واساليب تطورها في لسان العرب بما لا يمكن احصاؤه في صفحات معدودات، غير انّي أحاول ايجادها كما ظهرت في لسان العرب بالآتي :

أ- الاشتقاق :

تعددت مفاهيم مصطلح الاشتقاق منذ ان عرف في الدرس اللغوي، ففي اللسانيات الاغريقية كان بمعنى الانطلاق من الاشكال اللغوية التي تتمثل فيها الحقيقة ويفترض ان دلالة هذه الاشكال قد تغيرت وتطورت مع الزمن بالاستعمال، فاصبحت تستعمل مجازا وقد تغيّرت عن اصلها الذي وضعت له في بداية نشأتها الاولى «فالطبيعة اوجدت عناصر الواقع واوجدت معها اسماءها، ولكن الاستعمال اليومي المتكرر لهذه الاشكال زحزحها عن اصلها، فيجب البحث عن الاشتقاق الاصلي، اي البحث عن المعنى الاصلي الذي يمثّل الحقيقة الخالصة»[74].

وفي اللسانيات البنيوية فان معنى الاشتقاق يتغير من مستوى الى آخر، ففي المستوى المعجمي مثلا يعْنَى بالبحث عن المعنى الاصلي

---

(73) ـ انظر هذا ونحوه في: السامرائي. دراسات في اللغة. ص 208 ـ 209.
(74) ـ د. حناش (محمد) البنوية في اللسانيات. ص 374.

للمادة اللغوية دون خلفيات مسبقة، وفي الصرف محاولة فرز ما هو زائد عما هو اصيل في المادة اللغوية. وهناك مفهوم توليدي للاشتقاق مجاله التركيب[75].

والذي نريده هنا هو الاشتقاق الخاص بالالفاظ والصيغ ذلك الاشتقاق الذي بينه وبين القياس صلة وثيقة باعتبار أن القياس هو «الاساس الذي تبنى عليه عملية الاشتقاق وهو المبرر الذي تستند عليه مثل هذه العملية الاشتقاقية كي يصبح المشتق مقبولا معترفا به بين علماء اللغة»[76]. وقد تنبه علماء العربية القدماء الى فكرة الاشتقاق منذ ان بدأوا يبحثون في اللغة والمعاني المتشابهة واتّضحت لهم ناحية الاصالة والزيادة في مادة الكلمة، وتأكدت ملاحظاتهم فيما بعد يوم بحث المستشرقون في اللغات السامية، وظهر لهم ان الالفاظ السامية تعتمد على جذر، او موادّ وتعتبر الاصل في كل اشتقاق، وان اكثر هذه الجذور شيوعا في اللغات السامية هو الجذر الثلاثي الاصول»[77]، ومن المعروف ان الاشتقاق يعين اللغوي على معرفة اصل الكلمة بشرط ملاحظة مقابلة اللغات، فاذا وجدنا لفظة في العربية ومثلها في الفارسية، او اللاتينية، او اليونانية مثلا، ولم يساعدنا التاريخ على معرفة حقيقة اصلها عمدنا الى اشتقاقها وصيغتها، فاذا لم يكن لها مجانس في اخوات العربية وكان لها ذلك في اخوات الفارسية، او اللاتينية، او اليونانية نرجّح انها من احدى هذه اللغات[78].

من ذلك نذكر كلمة (شطرنج) وقد تكلمت به العرب قال (امرؤالقيس)[79].

---

(75) ـ انظر المصدر السابق. ص 374.
(76) ـ د. انيس (ابراهيم) من اسرار العربية. ص 62.
(77) ـ نفسه.
(78) ـ انظر: جورجي زيدان. تاريخ اللغة العربية. ص 45.
(79) ـ امرؤ القيس. الديوان. ص 485.

ولاعبتها الشطرنج خيلي ترادفت
ورخّى عليها دار بالشاه بالعجل

جاء في اللسان «شطرنج فارسيّ معرّب، وكسر الشين فيه اجود ليكون من باب، جردحل»[80] وهو ليس بفارسي، لان اغلب الروايات تشير الى ان اول من اخترع هذه اللعبة هو الحكيم الهندي (داهر) ومن ثمة فاصل الكلمة هنديّ قديم (شتورنكا) انتقل الى الفارسية في القرن السادس للميلاد، وحرفته ثم انتقل الى العربية من الفارسية بعد ان تصرف العرب في الكلمة وتكلفوا في تحليلها»[81]، ويؤيد ما نذهب اليه من أعجميّة هذه اللفظة ان الطاء والجيم لايجتمعان في كلمة عربية واحدة[82].

وجاء في اللسان ان «الجاموس نوع من البقر، دخيل، وجمعه جواميس فارسي معرّب، وهو بالعجمية كواميش»[83].

ولعل عدم وجود اشتقاق لهذه الكلمة في العربية هو الذي دفع ببعض القدماء الى الحكم باعجميتها ولكن ليس من الثابت ان يكون اصلها فارسيا، والذي يبدو من قول (ابن منظور) ان الكلمة في الفارسية مركبة من (كاو) ثور او بقرة، و(ميش) كبش وهذا لا يؤكد فارسيتها «لانها هندية الاصل بلفظ (جاوميشا) وهو في السنسكريتية، البقرة الكاذبة»[84].

ومن ذلك كلمة (الصّنج) قال ابن منظور «الصّنج العربي هو الذي يكون في الدفوف ونحوه عربي، فأمّا (الصّنج) ذو الاوتار فدخيل معرب تختص به العجم، وكان اعشى بكر يسمى صناجة العرب،

---

(80) - ابن منظور (شطرنج).
(81) - جورجي زيدان. ص 46.
(82) - انظر الجواليقي. المعرّب. ص 269.
(83) - ابن منظور. (جمس).
(84) - جورجي زيدان. ص 45.

وصنجة الميزان وسنجته فارسي معرب»[85].

ولعل مرد الحكم باعجمية هذه الكلمة عدم جواز اجتماع الصاد والجيم في كلمة عربية ثلاثية اورباعية عدا (جص الجرو) قال (ابن دريد) «وليس يجتمع في كلام العرب جيم وصاد في كلمة ثلاثية ولا رباعيّة»[86]، وفي اللسان «الجِصّ والجَصّ الذي يطلى به وهو معرب... وليس الجص بعربي وهو من كلام العرب، ولغة اهل الحجاز في الجص الفص... وجصص الجروّ وفقح اذا فتح عينيه»[87].

ب : التعديل البنائي للكلمة :

اعني به تحول الكلمة من بناء معين الى ابنية اخرى فالحروف المزيدة على اصل المادة تضيف اليها معنى جديدا او تغير معناها الى معنى آخر، فالزيادة تدل على عمق البنية في تضعيف الصيغ مثل: سوّس وشمّس، وطوّق، ووسّع، وغير ذلك، والنقص يدل على سطحيتها، فاذا استعرضنا مادة (شمس) في اللسان الفيناها ترد بما نصّه «وقد أشمس يومنا بالالف، وشَمَس يَشْمِسُ شموسا، وشَمِس يَشْمَس، هذا القياس، وتشمّس الرجل قعد في الشمس وانتصب لها، ويقال: آتينا فلانا نتعرض لمعروفه فتشمّس علينا اي بخل»[88].

فان الملاحظ في صيغ (شمس) و(اشمس) و(تشمّس) انها افعال تتصل بلفظ (الشمس) ويتبين لنا ان نقل الصيغة الى وزن (افعل) يدلّ على الصيرورة في بنية الفعل (أشمس) الذي يفيد في دلالته جمال اليوم المشمس، في حين تعطي صيغة (تشمس) تنوعا في الدلالة فهي في

---

(85) ـ نفسه: ص 46.
(86) ـ ابن دريد. الجمهرة. ج 2 ص 75 والجواليقي. ص 261.
(87) ـ ابن منظور (جصص).
(88) ـ نفسه (شمس).

دلالة طلب الدفء من الشمس، وفي دلالة (البخل) على سبيل المجاز.

وبهذا المعنى فان الباحث في اللسان يعثر على أمثلة كثيرة من الصيغ الواضحة البنية من نحو: برْق، ودفْع، ورعْد، وضرْب، وفجْر وغيرها، وتفاريعها وتغير دلالاتها، فاذا اقمنا على بنية (برْق) بعض التعديل، وحولناها الى بنية (برقية) مثلا وجدناها تدل على كلمة حضارية جديدة قد نمت في حياتنا المعاصرة.

واذا تناولنا بعض ابنية (وثق) الفينا في اللسان ما نصّه: «يقال فلان ثقة، وهي ثقة وهم ثقة ويجمع على ثقات في جماعة الرجال والنساء»[89]، فهي تدل على صفة انسانية يشترك فيها المذكر والمؤنث والجمع، وعلى هذا الاساس فان تنقّل بنية (ثقة) من دلالتها على المفرد المذكر الى دلالاتها على المفرد المؤنث، او الجمع يعطي معنى التوسّع في الاستعمال من خلال اللفظ الواحد، ويضاف الى هذا التوسع ذلك التنقل المعنوي الذي نجده في مشتقات من نحو: وثاق، وميثاق، ووثيقة، وغيرها.

ج ـ النّحت :

النحت نوع من الاختصار في الكلمات، توسعت به العربية واخواتها[90] قال ابن فارس «العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار وذلك نحو رجل عبشميّ منسوب الى اسمين، وانشد الخليل:

أقول لها، ودمع العين جار
ألم تحزنك حيعلة المنادي

هذا مذهبنا في ان الاشياء الزائدة على ثلاثة احرف فاكثرها

---

(89) ـ ابن منظور (وثق).

(90) ـ انظر: ابن جني. الخصائص. ج 1 ص 288، 289، ج 2، ص 114، 115 ـ 117، 366. ج 3 ص 95، 115، 118.

منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد ضبطر، من ضبط، وضبر وفي قولهم: صهصلق انـه من: صهل وصلق، وفي الصّلدم انه من الصلد والصدم»[91].

ورغم المغـالاة في قياسية النحت الا انه يوقفنا على ضرب من التأليف الذي يدخل في صلب الدراسات الايتمولوجية، فمن خلاله نتبين ان كلمات من نحو (البرقع) منحوتة من (برق) ومعه (رقعة) اي خرقة و(برقش) من الفعلين (برق، نقش) و(جمهر) بمعنى جمع التراب على القبر، من (جمع، هار)[92].

ونجد ان المناسبة بين اللفظ والمعنى تظهر في منحوتات مختلفة تكون لها علاقة بابنية اللغة من حيث جعل النحت يتناول الكلمة، او التركيب، او الجملة، فيختصر بعض حروفها ليصير الحذف ويتحقق الايجـاز المـطلوب، فاذا بحثنـا صيغة (بسمل) في اللسان وجدنا انها «بسمل الرجل اذا كتب بسم الله، بسملة.وانشد قول الشاعر:

لقـد بسـملت ليلى غداة لقـيتـهـا
فيا حبّـذا ذاك الحـبـيب المـبـسـمـل

قال محمد بن المكرم، كان ينبغي ان يقول قبل الاستشهاد بهذا البيت، وبسمل اذا قال بسم الله ايضـا»[93]؛ يعالج هذا النص صيغة (بسمل) لكونها منحوتة من كلمتين، بسم الله، فنقول ـ بحسب نصّ اللسان ـ بسمل الرجل اذا كتب باسم الله، او قال: بسم الله.

وتبين (البسملة) معنى المصدرية في تلك الصيغة المنحوتة كما تدل على الحالة النفسية التي يكون عليها الحبيب عند اللقاء بالمحبوب.

---

(91) ـ ابن فارس. الصاحبي. ص 271.
(92) ـ انظر: انيس (ابراهيم) من اسرار اللغة. ص 90
(93) ـ ابن منظور (بسمل).

واذا درسنا صيغة (حوقل) او (حولق) لدلالتها على معنى يتمثل في تركيب لا حول ولا قوة الاّ بالله، وجدناها ترد في اللسان كالآتي «يقال: قد اكثرت من الحولقة اذا اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله، هي لفظة مبنية من لا حول ولا قوة الا بالله، كالبسملة من بسم الله، والحمْدَلَةُ من، الحمد للّه»،«فالحوقلة، والبسملة، والسبحلة، والهيللة احرف جاءت هكذا»[94].

«وسبحان الله: معناه تنزيها لله من الصاحبة والولد، وسبح الرجل قال سبحان الله»[95]، وعلى هذا تبدو لنا ان صيغة (سبّح) اكثر اختصارا ووضوحا من صيغة (سبحل).

واجناس الاختصار على طريقة النحت كثيرة في اللسان، فهناك (عبديّ) نسبة الى (عبد القيس) وهو من القسم الذي اضيف فيه الى الاول لانهم لو قالوا: قيسي لالتبس بالمضاف الى (قيس عيلان) ونحوه وربما قالوا (عبقسيّ)[96]

ومنها «تعبقس الرجل كما يقال تعبشم وتقيّس»[97]ومنها أيضا: «عبد شمس من قريش يقال: عب الشمس ورايت عب الشمس، ومررت بعب الشمس، يريدون عبد شمس».يضاف الى ذلك انهم قالوا: عَبْشَمسٍ وهو نادر المدغم»[98]! واذا امعنا النظر في تلك الصيغ المنحوتة وغيرها من خلال نصوص اللسان، تبين لنا ان معرفة العبارة المعجمية قبل اختصارها شيء اساس، وذلك لوجود بعض الغموض في الكلمات المنحوتة فصيغة (عبديّ) تثير التساؤل لاننا لا نعرف معنى الصيغة قبل نسبتها الى (عبد القيس) او (عبد الشمس)، وذلك لكونها اخذت صيغة عبد باضافة ياء النسب.

---

(94) ـ نفسه: (حلق) و(حمد).
(95) ـ نفسه: (سبح).
(96) ـ نفسه: (عبد).
(97) ـ نفسه: (قيس).
(98) ـ نفسه: (شمس) و(عبأ).

واما صيغتا (عبقسيّ) و(عب الشمس) فانهما اقرب اقرب الى الـذهن لكون الاختصار الوارد فيهما لم يتجاوز حرفي الدال والياء في (عبقسيّ)والدال في(عب الشمس)، سواء اكانت هذه الصيغة المنحوتة مرفـوعـة ام منصوبة، ام مجرورة، واما الافعال المشتقة من التركيبين السابقين (عبد القيس) و(عبد الشمس) فان المنحوت فيهما من (عبد القيس) يتولد من (تقيّس) و(تعبقس) ومن (عبد الشمس) يؤخذ الفعل (تعبشم) وهذا الاختصار يقودنا الى البحث في مادة (قيس) او غيرها من اجل الوصول الى معرفة العبارة المعجمية في صورتها الكاملة قبل نحتها كي نزيل الغموض الحاصل في كون (تقيس) منسوب الى قبيلة (قيس) او الى الشاعر العربي (امرىء القيس) او الى (قيس) آخر قد لا نعرفه.

وعـلى النقيض من ذلـك نجـد الـوضـوح في صيغـة من نحو (تعبقس) المأخوذة من تركيب (عبد القيس) لكون الاختصار واقعا في كلمتي (عبد) و(قيس) فمن الاولى اخذوا العين والباء واهملوا الدال، ومن الثـانية اخذوا القاف والسين، وتركوا الياء، ومن هذا (تَعبشم) المنحـوتة من (عبد الشمس) فقد اخذوا من لفظ (عبد) العين والباء واهملوا الدال، وحذفوا السين من (شمس) واخذوا الشين والميم.

وانا لنجد هذا التوسع في النحت يضيف للمادة المعجمية الفاظا جديدة تعدّ مظهرا من مظاهر النموّ اللغوي الصحيح.

د – التحوير[99] :

يتصـل التحـوير بمعناه العام بابنية الكلمات والجمل وبالتغيير الصوتي الذي قد يأتي للتخفيف في الكلام عند النطق، ويتم بابدال

---

(99) ـ جاء في اللسان (حور) «أصل والتحوير في اللغة من حار يحور، وهو الرجوع، وكل شيء يتغير من حال الى حال فقد حار يحور حورا». وأرجو ان أكون موفقا في اطلاق هذا المصطلح لاول مرة كما اظن واعني به ما يصيب الكلمة العربية من ابدال أو تحريف أو تصحيف، أو قلب، أو غير ذلك، مما سيجده القارىء الكريم معززا بالامثلة.

صوت بصوت، او تصحيف حرف ليحل محلّ حرف آخر في الكتابة واللفظ، وقد يحدث هذا في لهجة معينة، او تركيب خاص، وهو عند ابن جني ثلاثة انواع: تحريف الاسم الى مقيس ومسموع، مثل قولهم في (نمر): (نمرّي) وفي (خراسان) (خرسيّ) وتحريف الفعل في (اضمحل) (امضحل) وفي (اطيب) (ايطب) وتحريف الحرف مثل: (سوف افعل) (سف افعل) وفي (لابل) (لابن) او غير ذلك[100].

فالنسبة الى (نمر) او (خراسان) اعطت الكلمتين دلالتين جديدتين، وحورتهما عن معناهما ومادتهما الاصلية، وتحوير الفعل قد زاد صورة ثانية له، وحذف الواو في (سوف افعل) قد اوجد صورة اخرى هي (سف افعل).

ومن ذلك في اللسان ما نصه: «قال ابن خالويه ليس احد يقول بُدِيت بمعنى بُدأت الا الانصار والناس كلهم بَدَيت وبدأت لما خففت الهمزة كسرت الدّال فانقلبت الهمزة ياء»[101].

فهناك لغتان محوّرتان عن الاصل الفصيح (بدأت) هما (بَدِيت) و(بَدَيت) وسواء أكانت الياء مسبوقة بالكسر في لغة الانصار، ام بالفتح في لغة غيرهم، فان التحوير قد وقع في ذلك الاستعمال بسبب الميل الى تخفيف الهمزة ومن ذلك في اللسان ايضا «قريت الكتاب، لغة في قرأت، عن ابي زيد قال: ولا يقولون ف المستقبل الا يقرأ. وقريت لما شاكلت لفظ قضيت قيل مَقْرِيَّة كما قيل مقضيّة»[102].

ومن هنا فان تخفيف الهمزة وانقلابها الى ياء قد جعلها تدلّ على التماثل في النطق لكن الصيغة اذا بنيت للمجهول في (قريت) فانها تدل

---

(100) - انظر ابن جنّي. الخصائص. ج 1 ص 7، 12، 18، 20، 64، 124، 139، 141، 162، 211، 237، 306. ج 2 ص: 8، 10، 79، 81، 89، 91، 143، 156، ج 3 ص: 64، 84، 107، 116، 119، 160، 188، 306.

(101) - انظر ابن جني: الخصائص. ج 2 ص 436، 438، 440.

(102) - ابن منظور (قرأ).

على ما يناظرها في الكلام مثل: قضيت، ومقرية التي تشابه مقضيّة وغير ذلك، وقد «اعتقد البدل للتضعيف كباب تقضّيت وتظنّيت، فاعتقد في لَذِذْتُ لَذِيتُ، كما تقول في حَسِسْتُ حسِيتُ»[103]، فقد ورد التحوير قصد ابدال الحرف المضعف في الكلام.

وقد ينشأ التحوير ايضا عن التصحيف.جاء في اللسان «وضبأت المراة اذا كثر ولدها هذا تصحيف والصواب ضنأت المرأة، بالنون والهمزة اذا كثر ولدها»[104] ويقرب من هذا ما ورد في اللسان بما نصه «الحنّة: خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها قال الازهري هذا حاقٌ التصحيف والذي اراه الخبّة، بالخاء والباء، وأما الحنة بالحاء والنون فلا اصل له في باب الثياب»[105]، ومعنى هذا ان التصحيف قد وقع في حرفين هما الخاء والباء اذ تحورت الخاء الى حاء، والباء الى نون ومن ذلك قول ابن منظور «التّأريب: الشح والحرص، هذا تصحيف والصواب التأريث، بالثاء»[106]، وقد يكون استثقال بعض الحروف المكررة مدعاة لحدوث التحوير فنجد في اللسان ان «تذلي فلان اذا تواضع واصله تذلل، فكثرت اللامات، فقلبت أخراهن ياء، كما قالوا (تَظَنَّى) واصله (تَظَنَّنَ)»[107] وقد يكون التحوير بتغيير موقع الحروف في الكلمات، او وضع الكلمات في الجمل، فمن الاول قول ابن منظور «يقال للمكان الغليظ شأس وشأر، ويقال مقلوبا مكان شاسيء وجاسيء غليظ»[108] ومن الثاني قوله «والعرب تقول: انتصب العود في الحرباء على القلب، وانما هو انتصب الحرباء في العود»[109] ومعنى

---

(103) ـ نفسه (لذا).
(104) ـ نفسه (ضبأ).
(105) ـ نفسه (خبب).
(106) ـ نفسه (أرب).
(107) ـ نفسه (ذلا).
(108) ـ نفسه (شسأ).
(109) ـ نفسه (حرب).

ذلك ان التحوير اللغوي يؤكد الفرق بين الاصوات في اصلها، وفي نقلها وتفسره الكلمات في تغيرها عن مواضعها، جاء في اللسان ان «القصوى والقصيا الغاية البعيدة قلبت الواو ياء لان فعلى اذا كان اسما من ذوات الواو ابدلت واوه ياء، كما ابدلت الواو مكان الياء في فَعْلى فادخلوها عليها في فُعْلَى ليتكَافآ في التغيير»[110]، فاستعمل كلمة (تكافؤ) للدلالة على التماثل في ابدال الواو والياء، قال (ابن السكيت) «ما كان من النعوت مثل العليا والدنيا فانه ياتي بضم اوله وبالياء لانهم يستثقلون الواو مع ضمة اوله، فليس فيه اختلاف الا ان اهل الحجاز قالوا: القصوى فاظهروا الواو، وهو نادر، واخرجوه على القياس، اذ سكن من قبل الواو، وتميم وغيرهم يقولون: القصيا»[111].

ان الواضح من نصّ اللسان ان قلب الواو ياء معروف في لهجة تميم وغيرها، والنطق بالواو لهجة اهل الحجاز وعلى الرغم من خروج ذلك على القياس فان ورود كلمة (قصوى) بالواو بدلا من الياء قد دل على صورتين متماثلتين في التغير، ذلك لان الواو مكافىء للياء في الاستعمال.

هـ ـ الالحاق :

يعد الالحاق من الجوانب اللغوية المتصلة بالدراسة الصوتية للكلمات اذا حلّلنا اصلها في صورة إلحاق حرف في المقطع الصوتي، او زدنا عليه بعض الاصوات الاخرى او اضفنا اليه كلمة من جنسه بحيث تكون تابعا له.

وقد ارتبطت هذه الظاهرة في اللسان بمعنى الزيادة في الحروف او التوسع في الكلمات قال ابن منظور: «اللحق واللحوق، والالحاق:

---

(110) ـ نفسه (قصا).
(111) ـ نفسه (كفأ).

الادراك . . . واللحق، الشيء الزائد[112]، ونستطيع ان نوضح الزيادة الصوتية في الحروف والكلمات من خلال لسان العرب، بالحاق حرف في المقطع الصوتي ليظهر المستعمل في كلام العرب ويتبين المهمل منه .

والواقع ان ظاهرة الالحاق كثيرا ما تنتج من اختلاف المقطع الصوتي الاخير للكلمة المعنية فتبعا للحروف الملحقة تتغير الدلالات وتتنوع فعلى سبيل المثال نجد التركيب الصوتي للمواد اللغوية يتم في مقطع (بر) على الصورة الآتية :(برأ، برت، برث، برج، برثج، بردج، برنج، برح، بربح، برخ، بربخ، برزخ، برد، برجد، برخد، برقعد، برند، برر، برز، بربد، برجس، بردس، برطس، برعس، برنس، برش، برغش، برقش، برنش، برص، برض، برط، بربط، برقط، برق، برزق، برشق، برنق، برك، برتك، برنك، برأل، برزل، برطل، برعل، برغل، برقل، برم، برجم، برسم، برشم، برصم، برطم، برعم، برهم، برن، برثن، برذن، برزن، بركن، برهن، برهمن، بره، بري) .

ولهذه الظاهرة قيمة دلالية توضح اهمية الحروف التي تزاد على الأصل الثلاثي ليكون رباعيا، او خماسيا فبرج مثلا تصير: برتج، وبردج، وبرنج، وبرخ تصير: بربخ، وبرزخ وهكذا ومن الجدير بالذكر ان الحاق اللفظ باللفظ يصون المعنى ويحافظ عليه[113]، فالعناية بمفيد المعنى عند العرب اقوى من العناية بالملحق لان صناعة الالحاق لفظية لا معنوية[114] ومهما يكن من امر، فان اهتمام العرب بالمعنى قبل اللفظ

---

(112) - ابن منظور (لحق) وقد ورد مدلول الالحاق في : ابن جني : الخصائص. ج 1 ص : 35، 62، 92، 118، 126، 136، 153، 215، 223، 224 231 272 - 273، 319، 341، 363. وج 2، ص :61، 62، 74، 204، 348، 378، 421، 480،482 - 483 ، وج 3 ص :35،63 - 66،83، 113، 169، 191، 232 - 243، 269، 279.

(113) - ابن جني : الخصائص. ج 1 ص 150، 223 وما بعدها.

(114) - ابن منظور (غرنق).

جعلهم يحفلون بالزيادة التي تخدم المعنى.جاء في اللسان ان «امراة خلباء وخلبن: خرقاء، والنون زائدة للالحاق، وليست باصلية»[115]، فالوقوف على المقطع الصوتي المحدود في صيغة (خلباء) يختلف عن المقطع الصوتي في صيغة (خلبن) وذلك لان المقطع الاول اصلي، والثاني ملحق، لكون النون الساكنة قد دلّت على حالة نفسية معينة تمثلت في الحمق وعدم التبصر في الامور.ومن الجدير بالذكر هنا ان الملحق متعدد في صوره، فمن الحاق حرف في المقطع الصوتي للكلمة المعينة ـ كما مثلنا ـ الى الحاق عنصر مقطعي جديد منفصل عن مادة الكلمة.

فمن ذلك في اللسان «حظيت المراة عند زوجها، وبظيت اتباع له، لانه ليس في الكلام ب ظ ي»[116]، فكلمة (بظيت) قد دلت على الزيادة اللفظية لكونها لم ترد في كلام العرب من حيث مادتها وانما جاءت ملحقة لوصف حالة الرضا التي يكون عليها الزوجان اذا حصل التفاهم والانسجام بينهما.

ومنه في اللسان ايضا قول ابن منظور «ورجل حسن بَسَنٌ اتباع له، وقَسَنٌ اتباع لحسن بسن»[117]، ومنه ايضا قولهم «ذهب دمه خِضرًا مِضرًا، اي هدرا، ومِضَر اتباع»[118] و«تفرق القوم شَذَرَ بَذَرَ، وشِذَر بِذَر، اي في كل وجه... وبذر اتباع» و«شَذَر مَذَر، وشِذر مِذر كذلك، ومذر اتباع»[119] وامثلة ذلك كثيرة في اللسان[120]، وهي في جملتها تبين ان الالحاق طريق من طرائق معرفة اصل الكلمة، لان اضافة مقطع صوتي الى الكلمة قد يكون اصليا في بنيتها، او زائدا عليها،أو منفصلا في تركيبه عنها،ولكنه يأتي مُجَانِسًا لها فيالصيغة واللفظ

---

(115) ـ نفسه (خلب).
(116) ابن منظور: (بظا).
(117) ـ نفسه: (بسن وحسن).
(118) ـ نفسه (مضر، خضر).
(119) ـ نفسه (بذر، شذر، مذر).
(120) ـ انظر نفسه: المواد: (جغب، بجر، بثر، بذر).

مثل: حظيت بظيت، وشغب وجغب التي نجدها مزدوجة في الكلام، ومعنى هذا ان التابع يكون مطابقا للمتبوع في بنيته ومختلفا عنه في بعض اصواته كما لاحظنا.

و – التداعي :

تستند الدلالة في بعض طرائق نموها إلى تداعي المعاني التي تقوم في مبناها ومعناها على علاقتي المجاورة والمشابهة[121]، فالمجاورة نلحظها في تغير الاصوات، او تكاثر الصيغ اذا تعاقبت بحيث يستبدل الحرف بما يجاوره من الاحرف الاخرى في الكلمة، او تحوّل الصّيغة الى ما يماثلها من الصّيغ في المعنى، ونقف ايضا في كلامهم على ما يخالف القياس المألوف كاستعمال المذكر في صورة المؤنث أو إيراد المؤنّث في صورة المذكر على غير ما هو معروف عندهم في باب التذكير والتأنيث، والمشابهة نلمسها مثلا في توازن الالفاظ او في ازدواج الكلام، او في تتابع المعاني او تواردها في الاضداد الناشئة اصلا من كلمتين متناقضتين في المعنى او غير ذلك.

ففيما يخص المجاورة نجد ان «الشيء اذا جاور الشيء دخل في كثير من احكامه لاجل المجاورة»[122] فمن مجاورة الاصوات نرى ان «النات: لغة في الناس على البدل الشاذ. . . أبدل التاء من سين الناس.»[123] وان «عَقْبة وعَقْمة، وعِقْبة وعِقْمة. . . ويقال: انه لعالم بعُقْمَى الكلام، وعُقْبَى الكلام، وهو غامض الكلام الذي لا يعرفه

---

(121) ـ انظر: وافي: علم اللغة. ص 316. وقد ورد التداعي بهذا المعنى في ابن جني: الخصائص. ج 1 ص: 44، 139، 150، 171 - 172، وج 2 ص: 176، 316، 363، 375، 478. وج 3. ص: 80، 241، 289، 336.

(122) ـ ابن جني: المنصف ج 2 ص 2.

(123) ـ ابن منظور. (أنس).

الناس» [124] ومن تعاقب الثاء والفاء نجد ان العرب «تُعقب بين الفاء والثاء، وتعاقب مثل جدث وجدف» [125]، ومن تعاقب النون والميم لقرب مخرجيهما نجد: «الايم والاين للحية، والغيم والغَين للسحاب» [126]، ومنه قولهم: «اتيته في عنبرة الشتاء، أي شدّته، وحكى سيبويه: عَمْبَر بالميم على البدل» [127]، ومن تعاقب النون والهمزة ما جاء في اللسان بما نصّه «جؤنة جونة، انما يريدون ان تعاقب في هذا الموضع الهمزة كما تعاقب لام المعرفة التنوين، أي لا تجتمع معه» [128]، فالعرب تميل بكلماتها الى الخفّة، وتتفادى ما تشعر بثقله على اللسان كـ (جؤنة)، فعاقبت الهمزة النون مثلما عاقبت لام المعرفة التنوين، لأن وجود التنوين في لفظ (رجل)، أو (غلام) مثلا، مرتبط بإِسْقَاط لام المعرفة من: (الرجل) أو (الغلام). [129].

ويمكن ان نعدّ من هذا ما يمكن ان نطلق عليه مصطلح (الابدال غير المطرد)، وهو ما لا يجري به قياس، ولا ينتظمه قانون، وانما يحفظ في كلمات أثرت عن العرب. وهذا الضرب من الابدال يجري في جميع حروف الهجاء، وان كان يكثر في بعضها ويشيع ويقلّ في غيره، قال أبو حيان (ت 741 هـ) في شرح التسهيل: «قال شيخنا أبو الحسن ابن الضائع: قلّما تجد حرفا إلا وقد جاء البدل فيه ولو نادرا» [130] واذكر في هذا المقام ان احرفا جاء فيها الابدال على هذا الوجه غير المطرد فالتزمته العامة، وجعلته منهجها الذي لا تحيد عنه، ومضت به

---

(124) ـ نفسه (عقب).
(125) ـ نفسه (عقب).
(126) ـ نفسه (قعن).
(127) ـ ابن منظور (عنبر، عمبر).
(128) ـ نفسه: (بهر).
(129) ـ نفسه: (أين).
(130) ـ المزهر من مبحث الابدال (ج 1/ص 172).

ألسنتهم، وانطوت عليه حوائجهم، فلا يَرِيمونه ولا يبغون به بدلا [131].

فمن ذلك ابدال الذال دالا، يقول العامة: دكر في ذكر، ودراع في ذراع، وودن في أذن وفيه مع ابدال الذال إبدال الهمزة واوا على حدّ قولهم (ورّخ الكتاب) في (أرّخه). وهي لغة حكاها يعقوب [132] قال ابن منظور: «الدكر لربيعه في الذكر وهو غلط حملهم عليه ادّكر حكاه سيبويه... واما قول الله تعالى: «فهل من مدّكر» فان الفراء قال حدثني الكسائي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن الأسود قال: قلت لعبد الله فهل من مذّكِر ومدّكر فقال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم مدّكر بالدال قال الفراء: ومدّكر في الاصل: مذتكر على: مفتعل، فصيرت الذال وتاء الافتعال دالا مشدّدة. قال: وبعض بني أسد يقول: مذّكر فيقلبون الدال فتصير ذالا مشدّدة، وقد قال الليث: الدّكر ليس من كلام العرب وربيعة تغلط في الذّكر فتقول: دِكْر.» [133]

ومما يذكر في هذا الموطن ان ترك الذال الى الدال لغة السّريانيّين [134] ومن ذلك ابدال العامة الذال زايا في بعض الكلمات، يقولون: ذبرت الكتاب أي قرأته، ويقال في ذلك أيضا (زبرته) قال ابن منظور «وزبرت الكتاب وذبرته قرأته والزّبر الكتابة.» [135] والظنّ أنّ الزاي بدل من الذال لكون الاولى اسهل في النطق من الذال التي تحتاج إلى الضغط على الثنايا، ومن ثم جرى هذا على لسان العامة لما كانت تدع الصّعب في المنطق وتجنح الى السهل ويقال ايضا: «ذرق الطائر وغيره وذرق اذا حذف به حذفا» [136] ومن ذلك الثاء تبدل تاء. ومنه في

---

(131) ـ انظر: النجار. محمد علي. الابدال. ص 676.
(132) ـ ابن منظور: (ورخ).
(133) ـ نفسه: (دكر) وانظر سيبويه: ج 4 ص 477. والآية من سورة القمر/15.
(134) ـ انظر: النجار. ص 677.
(135) ـ ابن منظور (زبر).
(136) ـ ابن منظور: (زرق).

العربية قولهم في (الخبيث) (الخبيت) قال ابن منظور: «والخبيت الحقير الرديء من الاشياء قال اليهوديّ الخيبريّ.

ينفــع الــطيّب القليل من الــرّز ق ولا ينفــع الكثــير الخبيت

وســأل الخليل الاصمعي عن الخبيت في البيت فقـال له أراد الخبيث، وهي لغة خيبر، فقال له الخليل لو كان ذلك لغتهم لقال الكتير وانــما كان ينبغي لــك ان تقـول انهم يقلبـون الثـاء تـاءً في بعض الحـروف، وقـال أبـو منصـور في بيت اليهـوديّ أيضـا أظنّ أنّ هذا تصحيف»[137]. وتـرى في ألسنة العامة بعض الكلمات بالسين وأصلها بالثاء كـ(ميراس) واصله (ميراث) و(سمرة) في(ثمرة). ومنه في العربية قولهم «وجرى فمه ثعابيب كسعابيب، وقيل هو بدل...»[138].

والأقرب عندنا ان الثاء في هذا أصل، فان مادة الثعب للسيلان أرغب وأوسع من مادة السعب.

ومن العامة من يبدل القاف همزة، يقولون: أُلت في قلت. وقد ورد في اللسان أنّ (الافز) لغة في (القفز)[139].

واذا نظرنـا الى معـاقبة الكلمات في استعمال الصيغ في اللسان وجدنا أنّ: «فعل وافعل يتعاقبان كثيرا على المعنى الواحد، نحو: جدّ في الامر وأجدّ، وصددته عن كذا وأصددته، وقصر عن الشيء وأقصر، وسحته الله، واسحته، ونحو ذلك»[140]، ومن الملاحظ ان تعاقب الصيغ في مثل: جدّ، لتدلّ على أجدّ، وقصر على اقصر قد حصر معنى الصيغتـين في دلالة واحدة، وعلى النقيض من ذلك تكون الزيادة في بعض الاستعمالات سببا في تغيير الدلالة من ذلك قول ابن منظور:

---

(137) ـ نفسه: (خبت). واليهوديّ الخيبري هو (السموءل بن العريض).
(138) ـ نفسه: (خيت).
(139) ـ نفسه (ألز).
(140) ـ نفسه: (كسا) وانظر (سحت).

«والمتْقِنون من أهـل اللغة يقولون فرى للافساد، وأفرى للاصلاح، ومعناهما الشّقّ» [141]. فصيغة (فعل) دلّت على الافساد. و (افعل) على المعنى المضاد.

أمّـا علاقـة المشـابهـة فتـظهر في صورة اللفظ وتبرز في وظيفته وتتجسّم في توارد معانيه فمن علاقة المشابهة في صورة اللّفظ نجد في اللسـان «ان العـرب توازن اللفظ باللفظ ازدواجا كقولهم: إني لآتيه بالغدايا والعشايا، وانما تُجمع الغداة غَدوات، فقالوا غدايا لازدواجه بالعشايا» [142] ويظهر من هذا النّصّ أنّ لفظ (غدايا) قد خرج على صيغة (غدوات) اتباعا للفظ (عشايا)، وبذلك كان في بنية الكلمة ما يدعو المعنى لاستكمال الصورة التي نلحظها في الازدواج.

ومنـه في اللسـان: «عنـدي ما ساءَه وناءَه، وما يسوءُه وينوءُه» «وكذلك وازنوا الشجيّ بالخليّ، وقيل معنى قولهم: ويل للشجيّ من الخليّ،ويل للمهموم من الفارغ» [143] ويتبين لنا من هذا الكلام انهم وازنوا بين الضّدين في المعنى: الشجيّ بالخليّ، فالمهموم قد يتداعى الى ذهنه الفارغ، وقد يكون الثاني غير مدرك لشعور الاول، ومن ثم يكون التداعي في هذا التركيب ملحوظا في الحالتين المذكورتين في نصّ اللسان.

أمّـا مظاهـر التطور الدلالي للكلمات الذي يساعد الباحث في اصول الكلمات على انجاز مهمّاته فهي كثيرة منها:

المجاز، والمشترك، والمترادف، والمتضاد، والانتقال من الحسيّ الى المعنوي، ومن العام الى الخاص، ومن الخاص الى العام، فقد وضح في اللسان أيّما وضوح، وأدعو الخالق العظيم ان يمنحني القوّة والصبر على دراسته في بحث مستقلّ ان شاء الله.

الهادي نهر

---

(141) ـ نفسه: (فرا).

(142) ـ نفسه (شجا) و(عشا) و(غدا).

(143) ـ نفسه (شجا).

المراجع والمصادر

☆ ابراهيم محمد نجا، فقه اللغة، جامعة الازهر – مصر 1374 هـ /1955 م.

☆ احمد امين، اسباب تضخم المعجمات العربية (بحث) مجلة المجمع اللغوي المصري العدد (9) مصر، 1959

☆ الأعشى (ميمون بن قيس) الديوان، دار بيروت 1960

☆ امرؤ القيس، الديوان الجزائر 1974

☆ انيس (ابراهيم) من اسرار العربية، ط 5 مصر 1975

☆ أولمان (استيفن) دور الكلمة في اللغة، تر. د. كمال بشر، القاهرة 1962

☆ التهامي الراجي الهاشمي، توطئة لدراسة علم اللغة (التعاريف) ط 2 بغداد 1984

☆ توفيق وهبي العقد والاستطراد في أصول معنى بغداد (بحث) مجلة المجمع العراقي، 1369 هـ /1950

☆ الثعالبي (ابو منصور عبد الملك) فقه اللغة وسرّ العربية، المكتبة التجارية الكبرى – مصر

☆ الجاحظ (عمرو بن بحر) الحيوان تح، عبد السلام هارون، القاهرة 1945

☆ جرجي زيدان تاريخ اللغة العربية دار الحداثة – بيروت 1980

☆ ابن جنّي (ابو الفتح عثمان)

– الخصائص تح، محمد علي النجار مصر 1952

– المبهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة دمشق 1348 هـ

– المنصف شرح لكتاب التصريف للمازني، تح، ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مصر 1954

☆ الخفاجي (شهاب الدين احمد) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل القاهرة 1325 هـ

☆ ابن دريد (ابو بكر محمد بن الحسن) الجمهرة دار صادر – بيروت
☆ د. الراجحي (عبده) فقه اللغة في الكتب العربية بيروت 1979
☆ د. الرباعي (سامي) اللغة العربية والتجديد (بحث) مجلة دراسات عربية بيروت 1984
☆ الرازي (ابو الفخر) التفسير الكبير القاهرة 1389 هـ
☆ د. رمضان (عبد التواب)
– التطور اللغوي : مظاهره، وعلله، وقوانينه، مصر 1404 هـ /1983
– فصول في فقه اللغة العربية مصر 1977
☆ رولون ولز علم اللغة الحديث تر. د. يوئيل يوسف عزيز بغداد 1407 هـ /1986
☆ الزاهد (ابو عمر المطرز) المداخل قدم له وحققه وعلّق عليه محمد عبد الجواد الانجلو – مصر
☆ الزبيدي (ابو بكر محمد) طبقات النحويين واللغويين مصر 1954
☆ زكرياء (ميشال) الالسنية (علم اللغة الحديث) المبادىء والاعلام ط 2 بيروت 1403 هـ /1983 م.
☆ د. السامرائي (ابراهيم) دراسات في اللغة بغداد 1961
☆ سيبويه (عمرو بن عثمان) الكتاب تح. عبد السلام هارون عالم الكتب – بيروت
☆ السيوطي (جلال الدين) المزهر في علوم اللغة وأنواعها طبعة محمد علي صبيح/مصر.
☆ ظاظا (حسن). كلام العرب، من قضايا اللغة العربيّة مصر 1971
☆ العمري (زينب عبد العزيز) اللغة بين القدماء والمحدثين (بحث) ابحاث اليرموك، العدد 1 – 2 الاردن 1983
☆ ابن فارس (احمد ابو الحسين)
– الصاجي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها حققه وقدم له مصطفى الشويمي بيروت 1383 هـ /1963
– مقاييس اللغة تح. عبد السلام هارون مصر 1366 هـ /1371 هـ
☆ فريحة (انيس)
– اللغة العربية وبعض مشكلاتها بيروت 1980
– نظريات في اللغة ط 2 بيروت 1981
☆ فندريس اللغة تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص مصر 1964
☆ قطرب (محمد بن المستنير) المثلثات تحقيق ودراسة ألسنّية، د. رضا السويسي ليبيا – تونس 1398 هـ/1978

☆ د. القفرالي (رضوان) علم اللسان بيروت 1984
☆ لايتز (جون) اللغة والمعنى والسياق، تر، د. عباس الوهب بغداد 1987
☆ ماريو ياي لغات البشر، اصولها، تطبيقها، تطورها، تر، د. صلاح العربي مصر 1970
☆ د. المبارك (محمد) : فقه اللغة وخصائص العربية ط 2، دار الفكر – بيروت 1392 هـ /1972
☆ د. مصطفى مندور اللغة بين العقل والمغامرة الاسكندرية 1974
☆ ابن منظور (جمال الدين محمد) : اللسان، طبعة بولاق، مصر
☆ مونين (جورج) تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين تر، د. بدر الدين القاسم دمشق 1392 هـ/1972
☆ النجار (محمد علي) الابدال (بحث) مجلة الازهر العدد (18) مصر 1366 هـ
☆ د. وافي (علي عبد الواحد)
– علم اللغة ط 6 مصر 1387 هـ / 1967
– فقه اللغة ط 4 مصر 1375 هـ /1956